﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

خـتْـمُ نصائحِه بتَّخويفِهم من الوقوف بين يدي الله للحساب

لمّا بالغَ مؤمنُ آلِ فرعونَ فيما سبق من آيات في نُصْحِ قومِهِ وبيانِ الحقائقِ لهُم؛ ختمَ نصائحه في هذه الآية بخاتمةٍ لطيفةٍ فيها تخويفٌ، فقالَ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾[1]، كأنَّه استشعر من ملامحهم أو من مقاطعتهم كلامَهُ بعبارات الإنكار، ما أيأسه من تأثُّرهم بكلامه، فتحدّاهم بأنَّهم إن أعرضوا عن الانتصاح لنصحه؛ سيندمون حين يرون العذاب، إمّا في الدُّنيا أو في الآخرة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: يقالُ الذِّكْرُ تارةً، ويُرادُ بهِ هيئةٌ للنَّفْسِ بها يُمكِنُ للإنسانِ أن يحفظَ ما يكتسبُهُ مِنَ المعرفةِ، ويقالُ تارةً لحُضورِ الشَّيءِ القلبَ أوِ القولَ، ولذلكَ قيلَ: الذِّكْرُ ذِكْرانِ: ذِكْرٌ بالقلبِ، وذِكْرٌ باللِّسان؛ فمِن الذِّكر باللِّسان قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۚ﴾ [الأنبياء: 10]، ومن الذِّكر بالقلب واللِّسان معًا قوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ﴾ [البقرة: 200]، وكلُّ واحدٍ منهما ضربانِ: ذِكْرٌ عن نسيانٍ، وذِكْرٌ لا عن نسيانٍ، بل عن إدامةِ الحفظِ[3]، ومِنَ المجازِ: الذِّكْرُ بمعنى الشَّرَفِ، وفُسِّرَ بهِ قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ﴾ [الزخرف: 44][4]، والمرادُ بالذِّكر هنا: الإخطارُ بالبالِ والقلبِ[5].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 520، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 261.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 156.
(3) الراغب، المفردات: (ذكر).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (ذكر).
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 373.

2) ﴿وَأُفَوِّضُ﴾: (فوض) أصلٌ يدلُّ على اتِّكالٍ في الأمرِ على آخرَ، وردٍّ عليهِ[1]، ومِن ذلكَ قولُهم: فوَّضَ إليهِ أمرَهُ؛ إذا ردَّهُ[2]، وقولُهم: باتوا فوضَى، أي: مختلطينَ، ومعناهُ: أنَّ كلًّا فوَّضَ أمرَهُ إلى الآخرِ[3]، وقومٌ فوضَى: متساوُونَ، لا رئيسَ لهُم[4]، والمرادُ بالتَّفويضِ هنا: التَّسليمُ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ليس للدّاعي إلى الله إلّا أن يسلِّم أمره لله

يُخبِرُ اللهُ تعالى عن قيلِ المؤمنِ مِن آلِ فرعونَ لفرعونَ وقومِهِ: فستذكرونَ أيُّها القومُ ما أقوله لكم؛ إذا عايَنْتم عقابَ اللهِ، ولَقيتم ما لَقيتُموهُ مِن صِدْق ما أقولُ، وحقيقة ما أُخبِرُكم بهِ، وأمّا أنا؛ فأسلِّمُ أمري إلى اللهِ، وأتوكَّلُ عليهِ؛ فإنَّهُ الكافي مَن توكَّلَ عليهِ، وهو عالمٌ بأمورِ عبادِه، ومَنِ المطيعُ منهُم، والعاصي لهُ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾:

ختمُ النُّصحِ بالوعيدِ، والالتجاء إلى الله المجيد

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ للتَّفريعِ على جملة: ﴿*وَيَٰقَوْمِ مَالِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وبهذهِ الجملة المشتملة على التَّهديدِ يختمُ مؤمنُ آل فرعون خطابَهُ لقومه[7].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالذِّكْرِ دون العلم:

عندَ حُلولِ العذابِ تصبحُ الأخبارُ يقينًا

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ دون العِلم؛ لأنَّ الذُّكْر بضمِّ الذّال – وهو ضدُّ النِّسيانِ – هو المناسب لهذا السّياق؛ إذ يطلب منهم استحضار ما قاله لهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فوض).
(2) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (فوض).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (فوض).
(4) الجوهري، الصحاح، والزمخشري، أساس البلاغة: (فوض).
(5) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 214.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 393، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 146.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 325، ومحمد موسى، آل حم، ص: 164.

من النُّصح قبل ذلك، ولم يصدِّقوه، والمعنى: ستذكرونَ في عقولِكم، أي: ما أقولُ لكم الآنَ، يحَضُرُ نُصْبَ بصائرِكم يومَ تحقُّقِهِ[1].

وفي التَّعبير بقوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إشارة إلى أنَّه في موضع النَّجاة وهم في موضع الهلاك؛ لأنَّهم صمّوا آذانهم عن سماع الحقِّ.

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾:

في قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ استعارة؛ إذ شبَّهَ الإعراضَ بالنِّسيانِ، ورمزَ إلى النِّسيانِ بما هو مِن لوازمِهِ في العقلِ ملازمةَ الضِّدِّ لضدِّهِ – وهو التَّذكُّرُ – على طريقةِ الاستعارةِ المكنيَّةِ، وفي قرينتها استعارةٌ تبعيَّةٌ، والمعنى: سيحلُّ بكُم مِنَ العذابِ ما يُذَكِّرُكُم ما أقولُ: إنَّهُ سيحلُّ بكم[2].

سـيـنـدم المشركون حين يرون العذاب، ولات حين مندم

نكتةُ التَّعبيرِ بالسّينِ دون (سوف):

عُبِّرَ بصيغة المضارع المصدَّرِ بالسّينِ في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ دون سوف؛ للدَّلالةِ على أنَّ ذُكْرَهم ما يقولهُ المؤمنُ أمرٌ سيقعُ في المستقبلِ القريب في الدُّنيا عندَ حُلولِ العذابِ بهِم[3] أو في الآخرة، وعُبِّر عنها بالسّين دون سوف؛ لأنَّهما وإن اشتركا في المستقبل إلا أنَّ السّين تأتي للمستقبل القريب من باب التَّهديد، وفيها توكيدٌ لحصولِ التَّذكيرِ، أي: فستذكرونَ قطعًا بوعدٍ لا خُلْفَ فيهِ[4].

كـلُّ آتٍ فهو قريب

غرضُ الإخبارِ بـ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾:

الغرضُ مِنَ الإخبارِ بقوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ التَّهديدُ والوعيدُ لقومِهِ بعدَ يأسِهِ مِن استماعِهم نُصْحَهُ، وبعدَ إعراضِهم عن كلِّ ما ذكَّرَهم بهِ[5].

ليس بعد الإعراض عن النُّصح إلّا التَّلويحُ بالعذابِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 156.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 156.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 562.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 79.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 318، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 567.

وفيه أيضًا التَّحسُّر على قومه لعدم استجابتهم لنصحه، وفيه إشارة إلى شفقته وحِرْصه عليهم في الأخذ بأيديهم إلى أسباب النَّجاة قبل فوات الأوان، وهو مبدأ ينبغي على الدُّعاة أن يحرصوا عليه في عرض دعوتهم على أقوامهم.

سرُّ التَّعبير بـ ﴿مَآ﴾ دون (الذي):

شـدَّةُ وعـيـدِ المـكـذِّبـيـنَ المعرِضينَ

آثر النَّظم القرآنيُّ التَّعبيرَ بـ ﴿مَآ﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾؛ لأنَّ ﴿مَآ﴾ أعمُّ في دلالتها من (الَّذي)، وإن اشتركتا في الموصوليَّة، ولأنَّ ﴿مَآ﴾ يتعدَّد المراد بها، فيجوزُ أن تكونَ موصولةً بمعنى (الَّذي)، أي: فستذكرونَ الَّذي أقولُهُ لكم[1]، فتكونَ دالَّةً على العموم، وأنَّهم سيذكرونَ كلَّ ما يقولُهُ المؤمنُ، وفي ذلكَ تهويلٌ للوعيدِ، ويجوزُ أن تكونَ مصدريَّةً، أي: فستذكرونَ قولي لكُم؛ إذا حلَّ بكم العذابُ[2].

سرُّ التَّعبير بالقول مادَّة وصيغة:

الدّاعي إلى اللهِ ينصحُ مرارًا

دلَّ التَّعبيرُ بالقول في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ على أنَّ مؤمن آل فرعونَ بذل جهده في دعوة قومه، وأعلى صوته؛ لكي يسمعوه، وممّا يؤكِّد ذلك مجيء فعلِ القولِ بصيغةِ المضارع؛ للدَّلالةِ على أنَّ القولَ مُستمِرٌّ متجدِّدٌ، وأنَّ المؤمنَ كان يُكرِّرُ النُّصحَ والهدايةَ لقومِهِ؛ إبعادًا لنفسِهِ عن ساحةِ الذَّنبِ والتَّقصيرِ[3]، وهكذا ينبغي أن يكونَ شأنُ الدّاعي إلى اللّهِ.

نكتةُ حذفِ عائد الموصول:

الحـذفُ للعلم بـالمـحـذوف وظهور المقصود

إذا كانَتْ ﴿مَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ موصولةً؛ فقد حُذِفَ الضَّميرُ الرّاجعُ إلى الاسمِ الموصولِ إيجازًا؛ لشيوعِ حذفِهِ، والتَّقديرُ: فستذكرونَ ما أقولُهُ لكُم مِنَ النَّصائحِ[4].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 318.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 318.
(3) حبنكة، معارج التفكر: 12/ 383.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 59.

دلالةُ اللّامِ في ﴿لَكُمۡۚ﴾:

نـصـحُ المـؤمـنِ بالغٌ إلى قومِهِ

اللّامُ في قولِهِ ﷺ: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ للتَّبليغِ، فتفيدُ انتهاءَ قولِ المؤمنِ إلى قومِهِ، ووصوله إليهم.

وقد تكون اللّام هنا دالَّةً على الاختصاص، أي: اختصاص قوله بقومه، وشدَّة حرصه عليهم، فكأنَّه يقول: هذه نصائحي لكم أنتم دون غيركم.

بلاغةُ عطف التَّفويض على ما قبله:

مـا خـاب من التجأ إلى ربِّه وفوَّض أمره إليه

الواو في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ عطفت هذهِ الجملةَ على سابقتِها، ومَساقُ هذهِ الجملةِ مَساقُ الانتصافِ منهُم؛ لِما أظهروهُ لهُ مِنَ الشَّرِّ، يعني: أنّي أُفَوِّضُ شأني وشأنَكم معي إلى اللّهِ، فهو يَجزي كلَّ فاعلٍ بما فعلَ، وهذا كلامٌ مُنصِفٌ، ويدلُّ لمعنى الانتصافِ تعقيبُهُ بقولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ مُعلِّلًا التَّفويضَ بأنَّ اللّهَ عليمٌ بأحوالِ جميعِ العبادِ؛ فعمومُ العبادِ يشملُهُ، ويشملُ خُصومَهُ[1]. ويُحتمل أنَّهم هدَّدوهُ بالقتلِ، وتوعَّدوهُ، ففوَّضَ أمرَهُ إلى اللّهِ[2].

نكتةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿وَأُفَوِّضُ﴾:

المـؤمـنُ دائـم التَّعلُّق بالله، والتَّوكُّل عليه

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ تفويضَ المؤمنِ أمرَهُ إلى اللّهِ مُستمرٌّ مُتجدِّدٌ، فهو في جميعِ الأحوالِ والأوقاتِ مُعتمِدٌ على اللّهِ تعالى؛ لأنَّ دعوتَهُ إليهِ؛ فتفويضُهُ الأمرَ إليهِ أيضًا[3].

وفيه دلالة على حسن صِلة العبد بربِّه، وأنَّ الكافر محروم من هذه العناية والكفاية.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 156.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 520.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 79.

سرُّ التَّعبيرِ بالتَّفويضِ دون التَّوكُّلِ:

مؤمنُ آلِ فرعونَ خاضعٌ مستسلمٌ للهِ

أوثِرَ التَّعبيرُ بالتَّفويض في قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ﴾ دون التَّوكُّل؛ لوجود فرق بينهما، فالتَّفويض ألطفُ إشارةً، وأوسعُ مِنَ التَّوكُّلِ، ولأنَّ التَّوكُّلَ يكونُ بعدَ وقوعِ السَّببِ، والتَّفويضُ قبلَ وقوعِهِ وبعدَهُ، وهو عينُ الاستسلامِ، والتَّوكُّلُ شُعبةٌ منهُ[1]، وفي التَّعبيرِ بالتَّفويضِ في الآيةِ إشارةٌ إلى غايةِ الخضوعِ والاستسلامِ.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾:

في تسليمِ المؤمنِ أمورَهُ للهِ بالتَّوكُّلِ عليهِ في قولِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ كنايةٌ عن عصمتِهِ؛ لأنَّهُ مَن توكَّلَ على اللهِ؛ كَفاهُ، وحَماهُ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالأمرِ في قوله: ﴿أَمۡرِيٓ﴾:

التَّوكُّلُ الحقيقيُّ في تسليمِ الأمورِ كلِّها للهِ تعالى

أوثِرَ التَّعبيرُ بالأمرِ في قوله: ﴿أَمۡرِيٓ﴾ دون غيرِه كالشَّأنِ؛ لأنَّه لفظٌ عامٌّ يشملُ الأفعالَ والأقوالَ كلَّها، وهذا هو المناسبُ مع سياقِ التَّفويضِ بأن يفوِّضَ العبدُ أمرَه كلَّه فيما يتعلَّقُ بأمورِ الدُّنيا والدِّين؛ بخلافِ الشأنِ فإنَّه يُطلقُ على الأمرِ الَّذي يتَّفق، ويصلح، ولا يقالُ إلّا فيما يعظم من الأحوالِ والأمورِ[3]؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالأمرِ هو الأبلغَ للسّياقِ.

دلالةُ الإفرادِ في ﴿أَمۡرِيٓ﴾ دون الجمعِ: (أمورنا):

التَّسليمُ الحقيقيُّ يشملُ كلَّ شؤونِ العبدِ

جاء التَّعبيرُ في لفظِ الأمرِ مفردًا مضافًا إلى ياءِ المتكلِّمِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ للاستغراقِ[4]، والمعنى: وأُفَوِّضُ جميعَ أمري إلى اللهِ، وهكذا شأنُ التَّسليمِ الحقيقيِّ للهِ ﷻ، ولم يأتِ التَّعبيرُ بلفظ (أمورنا)؛ لأنَّهم لم يسلِّموا أمورهم إلى اللهِ حتَّى يدخلهم في هذا التَّفويض، وفيه تحذيرٌ لهم، وتوبيخٌ على كفرِهم وشركهم؛ لأنَّهم حُرِموا كفايةَ اللهِ لهم.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 79.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 373.
(3) الراغب، المفردات: (شأن).
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 71.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِلَى﴾:

أوثر التَّعبيرُ بحرف الجرِّ ﴿إِلَى﴾ في قولِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ لدلالتها على انتهاءِ الغايةِ، وهذا يفيدُ أنَّ تفويضَ الأمرِ مُنتهاهُ هو اللهُ سبحانَهُ الَّذي لا يردُّ المكروهَ سواهُ.

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِۚ﴾:

القادرُ العليمُ يصرفُ السّوءَ عمَّنِ التجأ إليهِ

عُبِّرَ باسمِ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ لدلالتِهِ على سائرِ صفاتِ الكمالِ، ومنها القدرةُ والعلمُ المحيطُ، فلا يخفَى عليهِ حالُ مَن يُفوِّضُ الأمرَ إليهِ، ولا يُعجِزُهُ شيءٌ[1].

بلاغةُ المقابلةِ:

هلاكُ المُبطِلِ ونجاةُ المُحِقِّ

بينَ قولِهِ تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ وقولِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ مقابلةٌ خفيَّةٌ، وذلكَ أنَّهم سيذكرونَ حينَ ينزلُ عليهِم بأسُ ربِّهم، وسيكونُ المؤمنُ ناجيًا مِن مكرِهم؛ لأنَّهُ فوَّضَ، وهو صادقٌ، فاستسلمَ وهو صادقٌ، واستمسكَ بالعُروةِ الوُثْقَى الَّتي ليس لأهلِ اللهِ غاية أعلى من أن يكونوا من أهلها.

نكتةُ فصلِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾:

البصيرُ بالعبادِ حقيقٌ بالتَّوكُّلِ عليهِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهما مِن كمالِ الاتِّصالِ، فهذهِ الجملةُ تعليل وتوكيدٌ لتفويضِ المؤمنِ أمرَهُ للهِ تعالى، وبيانٌ لموجبِ التَّفويضِ، وهو كونُهُ تعالى بصيرًا بأحوالِ العبادِ وبمقاديرِ حاجاتِهم[2]، فهو استئنافٌ تذييليٌّ.

بلاغةُ الكنايةِ في الفاصلةِ:

في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ كونَهُ تعالى بصيرًا بأحوالِ العبادِ، مُطَّلِعًا عليها، يقتضي حِفْظَهُ لهُم[3]؛ شفقةً ورحمةً وحفظًا وعنايةً.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 79.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 261.

(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 374.

غرضُ التَّوكيدِ في فاصلةِ الآيةِ:

المؤمنُ واثقٌ بوِقايةِ اللهِ لهُ

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ بـ ﴿إِنَّ﴾ واسميَّةِ الجملةِ؛ لتحقيقِ مضمونِهِ، والرَّدِّ على القومِ؛ لأنَّ عملَهم في مكرِهم بهِ عملُ مَن يظنُّ أنَّ اللهَ سبحانَهُ لا يُبصِرُهم، ولا ينصرُهُ[1]، وللإيماءِ إلى فَرْطِ وُثوقِ المؤمنِ بوِقايةِ اللهِ تعالى لهُ.

بلاغةُ إظهارِ اسمِ الجلالةِ دون إضمارِه:

تعظيمُ أمرِ تفويضِ العبدِ أمرَه لربِّه

الظّاهرُ أن يقالَ: (إنَّهُ بصيرٌ بالعبادِ)؛ لتقدُّمِ ذكرِ اسمِ الجلالةِ، لكن عُدِلَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾؛ لتقويةِ التَّوكُّلِ؛ لأنَّه توكُّلٌ على ذي العظمةِ والجلالِ، المتَّصفِ بصفاتِ الكمالِ، وهو يعلمُ بما لهُ مِنَ الإحاطةِ مَن يستحقُّ النُّصرةَ لاتِّصافِهِ بأوصافِ الكمالِ، ويعلمُ مَن يمكرُ، فيردُّ مَكْرَهُ عليهِ[2]، ولأنَّ إظهارَ اسمِ الجلالةِ يُقوّي استقلالَ الجملةِ، ويجعلُها بمنزلةِ الأمثالِ السّائرةِ.

فائدةُ تذييلِ الآيةِ بصفةِ ﴿بَصِيرُۢ﴾ مادَّةً وصيغةً:

المُؤمِنُ المتوكِّلُ محروسٌ مِنَ اللهِ

جيءَ بصفةِ البصيرِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾؛ لدلالتِها على أنَّهُ ﷻ عالمٌ بأحوالِهم وبمقاديرِ حاجاتِهم، لا يخفَى عليهِ الأمرُ[3]، فيحرسُ مَن يلوذُ بهِ مِنَ المكارهِ، وهذا ما تحقَّقَ فعلًا بعدَ ذلكَ[4].

وفي هذه الصِّفة تحذيرٌ للكافرين وللمشركين بأنَّ الله مطَّلع عليهم، فلا تخفى عليه خافية؛ لأنَّ عملهم في مكرهم به - أي: مؤمن آل فرعون - عمل من يظنُّ أنَّه سبحانه لا يبصرهم، ولا ينصرهم[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80، ومحمد أبو موسى، آل حم، ص: 165.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 520، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 72.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 278، وعبد الرحمن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر: 12/ 384.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80.

وعُبِّرَ بصيغةِ (فعيلٍ)؛ لدلالتِها على المبالغةِ في صفةِ البصرِ، والمعنى: إنَّ اللهَ بالغُ البصرِ والإحاطة بالعبادِ ظاهرًا وباطنًا.

دلالةُ الباءِ في ﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾:

الباءُ للتَّعديةِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾، كما في قولِه تعالى: ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ﴾ [القصص: 11]، فإذا أرادوا تعديةَ فعلِ البصرِ بنفسِه؛ قالوا: أبصرَهُ[1].

سبحان الذي لا يخفى عليه شيء من شؤون خلقِهِ

وفي التَّعبير بالباء دلالة على تضمين ﴿بَصِيرُۢ﴾ معنى العلم، وفي هذا إشارة إلى عظم مراقبته سبحانه لعباده، وأنَّها لا تنفكُّ عنهم.

دلالةُ تعريفِ العبادِ:

تعريفُ العبادِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾؛ للجنسِ المستغرقِ لأفرادِه، فعِلمُ اللهِ تعالى محيطٌ بجميعِ عبادِه، لا يخرج أحد منهم عن علمه وإحاطته.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»